

الأساس النظري للمشروع الفلسفي الحضاري

(صيغة مرجعية قابلة للتجديد)

يقوم هذا المشروع على إعادة تأسيس فهم الإنسان والتاريخ من داخل العالم، لا من خلال غايات مفروضة عليه من خارجه، ولا عبر اختزاله إلى حتميات بيولوجية أو اقتصادية أو ميتافيزيقية.

فالتاريخ، في هذا الإطار، ليس مساراً خطياً نحو نهاية محددة، ولا تراكماً اعتبارياً للأحداث، بل حركة كينونية

حيّة تبحث عن اكتمال معناها الإنساني عبر الزمن.

١. الكينونة بوصفها مركز التفسير

ينطلق المشروع من اعتبار الكينونة هي محور الفهم، لا باعتبارها جوهرًا ثابتًا أو حقيقة مكتملة، بل بوصفها إمكانًا

يتشكل ويتحقق عبر التاريخ.

فالعالم لا يحتاج إلى معنى مفارق يُفرض عليه، لأن المعنى يتولّد داخله، من خلال علاقة الإنسان بالضرورة، وبالأحر، وبالزمن.

وبذلك يُعاد تعريف الإنسان لا كموضوع سلمي تحكمه الشروط، ولا كذات مطلقة تتجاوزها، بل كفاعل

وعي يعيش توترًا دائمًا بين الضرورة والمعنى.

٢. شرط التحرر من الاحتياج الطبيعي

لا تبدأ الكينونة الإنسانية في التفتح إلا حين يفكّ الإنسان احتكار الاحتياج الطبيعي لتحديد المعنى.

فالتحرر هنا لا يعني إلغاء الضرورة البيولوجية، ولا الانفصال عن الطبيعة، بل تحييد الإلحاح المباشر للبقاء عبر تنظيمه حضاريًا.

ما دام الإنسان محكومًا بالكامل بمنطق البقاء:

● يبقى الآخر أداة أو تهديداً

● ويظل الفعل أسير المنفعة

● ويغيب المعنى بوصفه اختياراً

أما حين تُنظَّم الضرورة:

● يتحرر جزء من الزمن والوعي

● وتصبح القيم ممكنة لا بوصفها أوامر، بل بوصفها اختيارات

وهذا هو الشرط الأول لانطلاق الكينونة.

٣. الفراغ الكينوني: شرط الوعي وأعمال الفكر

الفراغ ليس حالة طبيعية، ولا غياباً للفعل، بل **منجز حضاري**.

إنه ينشأ حين تُجَيِّد الضرورة البيولوجية عبر تنظيمها، فيتحرر جزء من الزمن والوعي من ضغط البقاء المباشر.

هذا الفراغ:

● لا يعني انفصال الإنسان عن الطبيعة

● بل يُحدث **انفصلاً كينونياً دقيقاً** بين الإنسان وحاجته الآنية

● انفصلاً يسمح بالتراجع خطوة، بالنظر، بالتأمل

في هذا الفراغ:

● يظهر الوعي

● وتبدأ أعمال الفكر: الرمز، النظام، الخيال، والسؤال عن المعنى

وبذلك لا يكون الوعي نتيجة تلقائية للتطور، بل **أثراً لتحقيق الفراغ الكينوني**.

وتشكّل الشخصية الحضارية المصرية مثلاً تاريخياً مبكراً على هذا التحول، حين أتاح تنظيم الغذاء والماء نشوء فراغ منتج للمعنى، لا فائضاً بلا دلالة.

٤. قانونا التحرر والارتداد

أ. قانون التحرر

حين يتحقق شرط التحرر من الاحتياج الطبيعي، وتنشأ مساحة الفراغ الكينوني، تنطلق الكينونة في:

● الإبداع

● بناء القيم

● تشكيل المعنى المشترك

ولا يعني ذلك مساراً تصاعدياً دائماً، بل **إمكاناً مفتوحاً**.

ب. قانون الارتداد الطبيعي

حين تفقد الحضارة قدرتها على تحييد الضرورة:

● أو حين يُملأ الفراغ بالقهر، أو الخوف، أو الاستهلاك

● تعود الضرورة لتفرض منطقتها

● وتنكمش الكينونة دون أن تنتهي

الارتداد ليس فشلاً أخلاقياً، ولا نهاية للتاريخ، بل **حركة تصحيحية قاسية** داخل دورة الكينونة.

٥. دورة الكينونة الحضارية

من التفاعل الجدلي بين التحرر والارتداد، تتشكل دورة الكينونة الحضارية بوصفها:

● حركة حلزونية

● لا تقدماً خطياً

● ولا تكراراً دائرياً مغلقاً

وتتحقق هذه الدورة عبر:

تكاملي عمودي: تطور المعنى عبر الزمن داخل الحضارة الواحدة

تكاملي أفقي: تفاعل الحضارات دون اختزال أو هيمنة

٦. القيمة بوصفها أثراً كينونياً

لا تفهم القيم (الرحمة، العدالة، الثقة، الإخلاص...) كغايات مفروضة على التاريخ، ولا كمعايير أخلاقية جاهزة، بل

بوصفها آثاراً بنيوية لدرجة تحرر الكينونة.

فحيثما يضيق الفراغ:

● تتآكل القيم

وحيثما يتسع:

● تصبح القيم ممكنة بوصفها اختيارات واعية

٧. الإنسان ودوره التاريخي

الإنسان في هذا المشروع ليس نتاجاً سلبياً للدورة الحضارية، بل **عنصر توجيه** داخلها.

فالفرد، بقدر وعيه بذاته وبالآخر، وبقدر قدرته على ملء الفراغ بالمعنى لا بالضرورة، يساهم في:

● تعميق التحرر

● أو تسريع الارتداد

وبذلك تصبح المسؤولية الأخلاقية جزءاً من البنية الكينونية للتاريخ، لا إضافة خارجية عليه.

خاتمة مفتوحة

هذا الأساس النظري لا يدّعي امتلاك حقيقة نهائية، ولا يسعى إلى إغلاق التاريخ داخل نسق مكتمل.

إنه إطار حيّ، يُصاغ ليُختبر، ويُراجع، ويُصحَّح كلما كشف الواقع عن أبعاد أعمق للكينونة.

فالأمانة الفكرية هنا ليست في الثبات،

بل في الاستعداد الدائم لتصحيح الذات حين يتطلب المعنى ذلك.